التوجيه البلاغي لمناسبة اقتران الأسماء الحسنى في فواصل الآيات لآياتها

دراسة في نماذج مختارة

إعداد

د/ أحمد راشد إبراهيم راشد

مدرس البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن

كلية دار العلوم/ جامعة المنيا

إصدار أكتوبر لسنة ٢٠٢٢

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم توجيه بلاغي لمناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات لسياق الآيات التي وقعت فيها هذه الأسماء، ولأجل هذا قُدِّمت الدراسة ببيان لمفهوم المناسبة في الاصطلاح القرآني والبلاغي مع بيان أهميتها وأقسامها، لا سيما أنها تُعدُّ علما من علوم القرآن الكريم، ثم أتبعناها ببيان لمفهوم الأسماء الحسنى التي هي محل الدراسة، ومن بعده بيان لمفهوم الفواصل القرآنية التي يكثر فيها اقتران الأسماء الحسنى ببعضها، ثم سعت الدراسة إلى محاولة تقديم توجيه بلاغي لمناسبة اقتران بعض الأسماء الحسنى في فواصل الآيات بآياتها، في نماذج مختارة من الآيات القرآنية الكريمة.

هذا، وقد أسفرت الدراسة عن بعض النتائج، منها: أن ختم الآية الكريمة باقتران اسمين من الأسماء الحسنى فيه دليل على مناسبة اقترانهما ببعض للآية التي ذكرا فيهان وتعلقهما بالحكم الذي تشتمل عليه الآية، وهذا ما رأيناه في النماذج القرآنية التي هي محل هذه الدراسة، وعلى هذا جميع الآيات التي اقترنت فيها الأسماء الحسنى ببعضها. ومنها توقف التوجيه البلاغي لمناسبة اقتران الأسماء الحسنى في فواصل الآيات بما جاء في الآية على دلالة الاسمين مع مراعاة سياق الآية بوجه خاص، وسياق الآيات السابقة واللاحقة بوجه عام.

الكلمات المفتاحية: التوجيه البلاغي ـ علم المناسبة ـ اقتران الأسماء الحسنى ـ فواصل الآيات.

المقدمة

القرآن الكريم أعظم آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وتعددت وجوه الإعجاز فيها، ومن بين هذه الوجوه وجه بلاغة نظمه التي رددها كثير من البلاغيين وغيرهم في كتاباتهم، ومن بين بلاغة نظمه تأتي بلاغة المناسبة داخلية كانت أم خارجية، ومن بين بلاغة المناسبة الداخلية تأتي بلاغة مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، ومن بين هذه تأتي مناسبة اقتران أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها، وبلاغة هذا الاقتران بحاجة إلى نظر وتأمل لبيان وجه الجمال فيه.

وتبعا لما ذكرناه سابقا، وباستخدام المنهج التحليلي، فإننا سنقدم بين يدي الدراسة تعريفا للمناسبات وبيانا لأقسامها بصورة عامة، ثم نتبعه ببيان لمفهوم الأسماء الحسنى، يليه بيان لمفهوم الفاصلة القرآنية واهتمام العلماء بها، وبعد ذلك ننتقل إلى بيان وجوه بلاغة المناسبة في اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات القرآنية بآياتها، وذلك في بعض النماذج القرآنية.

أولًا: المناسبة مفهومها وأهميتها وأقسامها

ـ مفهوم المناسبة بين الاصطلاحين القرآني والبلاغي

المناسبة في لغة العرب مصدر للفعل الرباعي ناسب، ومادته " النون والسين والباء"، وتدور حول " اتصال شيئ بشيئ" ومنه النسب، سمي به لاتصاله والاتصال به"(١)، وكذلك المناسبة هي المشاكلة.

وفي اصطلاح علماء القرآن الكريم مناسبات القرآن العظيم هي "المعنى الذي يربط بين سوره وآياته"(٢)، وعليه فإنه يمكن القول بأن علم المناسبات هو:" معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض" (٣).

هذا عن المناسبة في اصطلاح الدرس القرآني، أما المناسبة عند البلاغيين فهي" الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر"(٤)، وقد أشار عدد من البلاغيين القدماء إلى المناسبة في مصنفاتهم(٥)، وتناولوها في بعض الآيات القرآنية كالرماني(٦)، وابن أبي الإصبع(١)، وإذا كان النظم القرآني أحد

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م، ٤٢٣/٥. ولسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه، ١/ ٧٥٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١ه)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤ه، ١٩٧٤م، ٣/ ٣٦٩.وانظر في التعريف: البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٧٩٤ه) ، ط١، ١٣٧٦ه، ١٩٥٧م، دار المعرفة بيروت، لبنان، ٦٢/١. ومباحث في علوم القرآن، د/ مناع القطان، ط٣٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٩٢ه، ١٩٩٨م، ص٩٧، ١٤٢٠ه،١٩٩٨م، ص٩٧.

(٣) علم المناسبات في السور والآيات، د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط١، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤٢٣ه،٢٠٠٢م، ص٢٧.

(٤) المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤٣٠.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د/ أحمد مطلوب، ج٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م، ص٣٠٧ : ٣١٠.

(٦) النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، القاهرة، دار المعارف. ص٩٢.

أوجه الإعجاز فإن المناسبة تكاد تكون جزءًا من أجزاء النظم، أو وسيلة من وسائل فهم النظم القرآني ومعرفته، ومعرفة وجوه بلاغته.

ـ أقسام المناسبة

أما عن أقسام المناسبة وأنواعها فإنها تنقسم قسمين:

القسم الأول ما يمكن أن يُطلق عليه: المناسبات الداخلية أو المناسبات في السورة الواحدة(٢)، وهي أنواع:

الأول: مناسبة ترتيب آيات السورة الواحدة، واعتلاق بعضها ببعض، وارتباطها وتلاحمها وتناسقها.

الثاني: مناسبة مطلع السورة لمقصدها، وهو ما يسميه البلاغيون " براعة الاستهلال".

الثالث: التناسب بين خاتمة السورة ومطلعها.

الرابع: مناسبة فواصل الآي للآية التي ختمت بها، وهذا النوع متعلق أو يندرج ضمن المناسبة بين أجزاء الآية الواحدة(٣)، وهذا التناسب يكون لفظيا ومعنويا، ومنه مناسبة أسماء الله الحسنى للآية التي ختمت بها، وهذا هو أقرب نوع لموضوع هذه الدراسة، حيث إننا سنتناول بلاغة تناسب اقتران

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإبع المصري، تحقيق د/ حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣ه، ، ص٣٦٣، وقد ذكر أن المناسبة على قسمين: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ، ثم قسم المناسبة اللفظية إلى تامة وغير تامة.

(٢) ينظر في التسمية: علم المناسبات في السور والآيات، مرجع سابق، والمناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأنفال والتوبة، رسالة ماجستير ،إعداد الطالب/ وائل علي فرج، إشراف د/ زهدي محمد أبو نعمة، كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية، غزة. ١٤٣١ه، ٢٠١٠م.

(٣) المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأنفال والتوبة، ص٣.

الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآي الكريمة بسياق ومحتوى الآيات التي ورد فيها هذا الاقتران.

القسم الثاني ما يمكن أن يطلق عليه المناسبات الخارجية أو المناسبة بين السور، وهي أنواع:

الأول: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

الثاني: مناسبة ختام السورة لمطلع السورة التالية لها.

الثالث: مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي تليها.

وثمة نوع يدخل في القسمين وهو مناسبة موضوع مجموعة من السور لمجموعة من السور، أو لسورة، ومناسبة موضوع مقطع من الآيات في السورة لمقطع آخر، كمناسبة الفاتحة لجميع سور القرآن، وآية الكرسي لجميع آي القرآن(١).

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن اقتران الأسماء الحسنى كثيرا ما يقع في فواصل آي القرآن العظيم فلا بد لنا هنا من الإشارة إلى مفهوم الأسماء الحسنى ومن بعدها الفاصلة.

---

(١) علم المناسبات، ص٢٩، ٣٠.

ثانيًا: مفهوم الأسماء الحسنى

الأسماء الحسنى هي الأسماء[١] التي اختص الله سبحانه بها نفسه، وقد وصفت بالحسنى لأن الله تعالى وصفها بهذا الوصف، والحسنى مؤنث الأحسن أما الحسنة فمؤنث الحسن، والحسنى البالغة في الحسن غايته[٢]، وذلك " لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرا"[٣]، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم أربع مرات باللفظ نفسه " الأسماء الحسنى"، قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا»[الإسراء:١١٠]، وقال تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» [طه:٨]، وقال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الحشر:٢٤].

ثالثًا: مفهوم الفاصلة القرآنية

---

(١) والاسم" ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة" وفي هذا ينظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧ه، ١٩٨٧م، ص ٢٤١. وقيل الاسم" ما وضع لشيئ من الأشياء ودل على معنى من المعاني جوهرا كان أو عرضا" وفي هذا ينظر: كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م، ص١٠٧.

(٢) "ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير" المنهج الأمثل في الأسماء والصفات دراسة وصفية تحليلية، د/ خالد حسن حمدان، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٨، العدد ٢، يونيو ٢٠٢٠، ص١٦٤.

(٣) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين، حققه وخرج أحاديثه/ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط٢، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤ه، ١٩٩٤م، ص٩.

وأما الفاصلة في لغة العرب ففعلها فصل، وهي مفرد الفواصل، يقال: "فصلت الشيئ فانفصل أي قطعته فانقطع، والفصل القضاء بين الحق والباطل"(١)، وأما في اصطلاح العلماء فقد تعددت تعريفاتهم لها، إلا أنه يمكن القول بأن الفاصلة القرآنية:" هِيَ كَلِمَةٌ آخِرَ الْآيَةِ كَقَافِيَةِ الشِّعْرِ وَقَرِينَةِ السَّجْعِ" (٢).

والتعريف السابق للفاصلة لا يعني أن أسماء الله تعالى قد اقتصر اقترانها ببعضها على الفواصل، ففي أول آية الكرسي قال تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"[البقرة: ٢٥٥]، [البقرة: ٢٥٥] ،فوقع اقتران الاسمين ببعضهما أول الآية، وكذلك في خواتيم سورة الحشر اقترنت الأسماء ببعضها في بداية الآيات، قال تعالى: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر:٢٣، ٢٤]، وفي هذا دلالة على أن اقتران الأسماء الحسنى كثير في خواتيم الآيات قليل في بداياتها ووسطها.

رابعًا: بلاغة مناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات لآياتها

(١) لسان العرب، ٥٢١/١١.
(٢) البرهان في علوم القرآن،٥٣/١.

المتأمل في كتاب الله تعالى يعلم أن كثيرا من الآيات الكريمة مختومة باسم من أسمائه الحسن سبحانه، وأحيانا تكون الآية مختومة باسمين من الأسماء الحسنى، وهذا الأمر كذلك موجود في الأحاديث النبوية، إلا أننا هنا سنقصر دراستنا على نماذج من الآيات القرآنية التي ختمت باقتران اسمين ببعضهما مثل: "العزيز الحكيم"، و"الغني الحميد"، و"العزيز الرحيم"، و"العزيز العليم"، و" السميع العليم"، و"التواب الرحيم"، و"الغفور الرحيم"، و"واسع عليم"، و " السميع البصير"، و" الغني الحميد"، و" الخبير البصير"، و"العفو الغفور"، و"الغني الكريم"، واللطيف الخبير"، و"الشكور الحليم"، والفتاح العليم"، ومن تأمل القرآن وجد أمثلة هذا الاقتران كثيرة جدا في الكتاب العزيز.

هذا، وقد صرف بعض العلماء جهدهم في دراسة أسماء الله تعالى وبيان معانيها، وهذا مبثوث في كتب التفاسير واللغة؛ إلا أنهم لم يفردوا دراسة اقتران الأسماء الحسنى بباب خاص، فنرى المفسرين(١) يقررون تفسير الآية مشيرين إلى معاني الكلمات الواردة فيها ومن بينها الأسماء الحسنى التي تختم بها الآيات، من غير تخصيص لبيان الفائدة البلاغية المرجوة من اقتران هذه الأسماء ببعضها.

وإذا كانت البلاغة العربية متمثلة في علومها الثلاث تبحث في الوجوه التي يصير بها الكلام بليغا بمفرداته وتراكيبه، فإن البحث في مناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات ومناسبتها للآية المذكورة فيها

---

(١) ينظر في هذا: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري(٣١٠ه)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م. والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (٥٣٨ه)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ه.ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(٦٠٦ه)، ط٣، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٢٠ه، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي(٦٧١ه)،تحقيق احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤ه، ١٩٦٤م. وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٧٧٤ه)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م. والتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(١٣٩٣ه)، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

يندرج في إطار عمل البلاغة العربية وعلومها من حيث إنها "مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال"(١)، فإذا ختمت الآية الكريمة باقتران اسمين من الأسماء الحسنى ففي هذا دليل على مناسبة اقترانهما ببعض للآية التي ذكرا فيها وتعلقهما بالحكم الذي تشتمل عليه الآية، وسنرى هذا فيما يلي من النماذج القرآنية التي هي محل هذه الدراسة.

١: العليم الحكيم

اقترن الاسمان الكريمان في ختام قوله تعالى: "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" [البقرة:٣٢]، والذي هو" خبر من الله جل ذكره عن ملائكته، بالأوبة إليه، وتسليم علم ما لم يعلموه له، وتبرِّيهم من أن يعلموا أو يعلم أحد شيئًا إلا ما علّمه تعالى ذكره."(٢)، فما دلالة كل من الاسمين؟ وما وجه بلاغة مناسبتهما للآية الكريمة ؟ والجواب عن هذا على النحو التالي:

أما العليم : "فهو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق. وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، والآدميون –وإن كانوا يوصفون بالعلم– فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد نجد الواحد منهم عالما بالفقه غير عالم بالنحو وعالما بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله –سبحانه– علم حقيقة" (٣).

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني(٧٣٩ه)، تحقي محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١/ ٤٤.

(٢) تفسير الطبري، ٤٩٣/١.

(٣) شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي(٣٨٨ه)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط٣،دار الثقافة العربية، ١٤١٢ه، ١٤٩٢م، ص٥٧.

وأما الحكيم: "فهو المحكم لخلق الأشياء. ومعنى الإحكام لخلق الأشياء، إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها "(١).

هذا عن دلالة الاسمين الكريمين، وأما عن وجه مناسبتهما للآية الكريمة وبلاغتهما؛ فالمتأمل في سياق الآيات يعلم أن الآية الكريمة محل الدراسة كانت قولا للملائكة عند مراجعتهم لربهم تبارك وتعالى عندما أخبرهم بأنه سيجعل في الأرض خليفة، وكونه تعالى سيجعل في الأرض خليفة يلزم منه أن يكون سبحانه عليما بأحوال هذا المخلوق، واضعا إياه في موضعه المناسب، "فلما خلق آدم وعلمه أسماء كل شيء مما جعله الله له وبين يديه، وعجزت الملائكة عن معرفتها وأنبأهم آدم بها: "قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" [البقرة:٣٣] فاعترفوا لله بسعة العلم، وكمال الحكمة، وأنهم مخطئون في مراجعتهم ربهم في استخلافه آدم في الأرض التي خلقت له وهيئت لنزوله"(٢).

وإذا كان الامر كذلك فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين الكريمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال الملائكة ومراجعتهم لربهم تبارك وتعالى، وما يستلزمه خلق الله لآدم وذريته من علم وحكمة.

ووجه آخر من وجوه بلاغة المناسبة وهو أن اقتران الاسمين فيه دلالة على كمال الرب تبارك وتعالى، وفيه تمجيد له سبحانه، وذلك باعتبار أن العليم يتضمن كمال العلم، والحكيم يتضمن كمال الحكمة.

والوجه الثالث من هذه الوجوه هو أن اجتماع الاسمين فيه دلالة على كمال آخر وهو أن علمه سبحانه وتعالى مقرون بالحكمة، وليس علما فحسب،

---

(١) شأن الدعاء، ص٧٣.

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٦٧ه)، ط١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م، ص٥٥.

فمن من البشر من قد يكون صاحب علم، لكنه لا يملك حكمة في بيان هذا العلم أو الانتفاع به على الوجه الصحيح.

٢: العزيز الحكيم

يقترن هذان الاسمان في مواضع عديدة من كتاب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" [البقرة: ١٢٩] ، وإذا كنا قد بينَّا دلالة اسم الله (الحكيم) فإننا هنا سنبين دلالة اسمه سبحانه العزيز؛ سعيًا إلى معرفة الأوجه البلاغية في اقتران الاسمين الكريمين في ختام هذه الآية.

"والعزيز: هو المنيع الذي لا يغلب. والعز في كلام العرب على ثلاثة أوجه. أحدها: بمعنى الغلبة، والثاني: بمعنى الشدة والقوة. يقال منه: عز يعز – بفتح العين– من "يعز" والوجه الثالث: أن يكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عز الشيء يعز –بكسر العين– من يعز، فيتأول معنى العزيز على هذا، أنه الذي لا يعادله شيء، وأنه لا مثل له، ولا نظير. والله أعلم."(١)، وثلاثة المعاني هذه التي وردت في بيان معنى العزيز كلها حقيقة في ذات الله تعالى فهي عزة كاملة تامة لا نقص فيها.

والمتأمل في الآية الكريمة وفي دعاء الخليل وابنه عليهما السلام وختمهما الدعاء بالاسمين الكريمين يخلص إلى أنهما يقولان : "كما أن بعثك لهذا الرسول فيه الرحمة السابغة، ففيه تمام عزة الله وكمال حكمته، فإنه ليس من حكمة أحكم الحاكمين أن يترك الخلق سدى عبثا، لا يرسل إليهم رسولا، فحقق الله حكمته ببعثه، كما حقق حكمته لئلا يكون للناس على الله حجة، والأمور كلها: قدريها وشرعيها، لا تقوم إلا بعزة الله، ونفوذ حكمه"(٢)، فإذا كان

---

(١) شأن الدعاء، ص٤٨.
(٢) القواعد الحسان، ص٥٦.

قولهما عليهما السلام: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ بحكمته وعدله"(١) فهذا فيه تمام مناسبة الاسمين لما ورد في الآية الكريمة من إرسال رسول إليهم؛ لأن إرسال الرسول يتطلب المنعة والشدة والقوة وعلو قدر الرب تبارك وتعالى الذي يبعث هذا الرسول، كما أن إرسال هذا الرسول بحاجة إلى حكمة، فلا بد أن يكون الرسول من جنس من يُرسل إليهم، ويتكلم بلسانهم؛ حتى يتمكن من إبلاغهم الرسالة التي يأتيهم بها، ولا يمكن لأحد أن يخلق لهذا الرسول هذه الصفات إلا ربه تبارك وتعالى العزيز بعزة كاملة يعز بها رسوله، الحكيم بحكمة تامة يضع بها الأشياء في مواضعها، ويرزق بها نبيه المُرسل لهداية الناس.

وعليه، فإن ختم الآية الكريمة بهذين الاسمين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال دعاء الخليل وابنه عليهما السلام بقولهما: "رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، إذ إنه لا يملك بعث رسول من أنفس المبعوث فيهم ، وتكليفه بتلاوة الآيات عليهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، لا يملك هذه كله إلا الرب العزيز الحكيم سبحانه الذي له معاني العزة والحكمة.

ومن ناحية أخرى فإن اقتران الاسمين في ختام الآية فيه تنبيه إلى كمال عزة الله وحكمته، وكلاهما يدل على كمال الرب تبارك وتعالى.

ومن ناحية ثالثة فإن اقتران الاسمين فيه كمال آخر للرب تعالى، فعزته سبحانه مقرونة بالحكمة، " فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤٤٥/١.

ويسيئ التصرف، وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنهما يعتريهما الذل"(١).

وبمثل هذا التوجيه يمكن القول في اقتران الاسمين الكريمين في قوله تعالى: "فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"[البقرة: ٢٠٩] فالمعنى هنا " فإذا عرفتم عزته وهي قهره وغلبته وقوته وامتناعه، وعرفتم حكمته – وهي وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها محالها – أوجب لكم ذلك الخوف من البقاء على ذنوبكم وزللكم، لأن من حكمته معاقبة من يستحق العقوبة: وهو المصر على الذنب مع علمه، وأنه ليس لكم امتناع عليه، ولا خروج عن حكمه وجزائه، لكمال قهره وعزته"(٢).

وبالتوجيه نفسه يمكن القول في اقتران الاسمين في بيان عقوبة السارق في قوله تعالى:" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" [المائدة:٣٨]، فإنه سبحانه عزيز حكيم " في انتقامه من هذا السارق والسارقةِ وغيرهما من أهل معاصيه="حكيم"، في حكمه فيهم وقضائه عليهم."(٣)، فالعزة والقوة والمنعة مقرونة بالحكمة في هذا الحكم الذي به يرتدع كل من تسول له نفسه أن يسرق أو يفكر في السرقة.

٣: العزيز العليم

وقد ورد اقتران هذين الاسمين في القرآن الكريم مرات عديدة في سياق الكلام عن خلق الليل والنهار والشمس والقمر، ومنها قوله تعالى:" فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) فقه الأسماء الحسنى، د/عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م، ص٤١.
(٢) القواعد الحسان، ص٥٦.
(٣) تفسير الطبري، ٢٩٨/١٠.

[الأنعام:٩٦]، فقوله : «**ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**». والناظر في الآيتين السابقتين يعلم أن الجمع بيت الاسمين يفيد "أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزة الله وعلمه، وليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية"(١) .

وأما عن وجوه البلاغة في اقتران الاسمين فأولها: مطابقة الاسمين لما دلت عليه الآية تمام المطابقة، فالذي يخلق هذه الأجرام العظيمة ويتحكم في أمرها ويدبر سيرها هو العزيز الذي لا يُمانع في شيئ أراده أو خلقه، العليم بما يقع في هذه الأجرام وغيرها من الأجرام الكونية العلوية والسفلية.

والثاني هو دلالة العزيز على تمام العزة وكمالها ودلالة العليم على تمام العلم وكماله، وكلاهما دال على كمال الرب تعالى في أسمائه وصفاته التي تتضمنها هذه الأسماء.

والوجه الثالث هو كمال آخر في حق الله تعالى؛ لأن اقتران العزيز بالعليم فيه إشارة إلى أن عزته سبحانه مقرونة بالعلم، فقوته سبحانه ومنعته وغلبته صادرة عن علمه بأحوال خلقه وكونه وتسيير أمورهما كما يقتضيه علمه سبحانه وتعالى.

٤: العزيز الرحيم

كثُر اقتران هذين الاسمين في ختم قصص الأنبياء مع أممهم التي أرسلوا إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: "وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ" [الشعراء: ٩] ، وقد وقعت بعد عدة آيات فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

(١) فقه الأسماء الحسنى، ص٤٢.

في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار وذلك في بداية سورة الشعراء في قوله تعالى :" طسم(١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ(٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ(٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ(٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ(٨)" [الشعراء: ١-٨]

فبعدما انتهت هذه التسلية بين الله تعالى أنه هو العزيز الرحيم

فقال: "وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ"

أي: الذي عز كل شيء وقهره وغلبه، {الرحيم} أي: بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر." (١).

وأما اقتران الاسمين هنا ففيه من البلاغة وتمام المناسبة وجوه؛ أولها: مطابقة الاسمين لدلالات الآيات السابقة ومعناها، فإذا كانت هذه الأمم المعاندة لرسلهم قد كذبت بآيات الله فإن ما قدَّره سبحانه لهم من الخذلان والهلاك والعذاب من آثار عزته ومنعته عز وجل، وما قدَّره سبحانه لرسله من النصر والتأييد فمن آثار رحمته تبارك وتعالى.

وثانيها: أن كل اسم من الاسمين يتضمن كمالا تاما لصفته، فالعزة تامة، والرحمة تامة مثلها، غير أنها خاصة للمؤمنين.

وثالثها: أن اقتران الاسمين يفيد تمام الكمال في حقه تعالى، فالعزة هنا مقرونة بالرحمة؛ لبيان ما يستحقه كل طرف من الطرفين، فما أصاب المعاندين لرسلهم من الخذلان إنما هو بعزة الله تعالى، وما نزل على الأنبياء وأتباعهم المؤمنين بهم من رحمة ونصر وتأييد فمن آثار رحمة الله تعالى؛ لأن " الرحيم خاص للمؤمنين، كقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ٦/ ١٣٦.

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا"[الأحزاب: ٤٣]، (١)، وبهذا الاقتران يتضح أن عزة الله تعالى في عقوبته للمعاندين تقابلها رحمته تعالى بالأنبياء والمؤمنين.

ورابعها: أن المتأمل في اقتران الاسمين يرى تقديم العزيز على الرحيم، وهذا فيه بيان ظهور الحق وانتصاره دائما، فلا بد بداية من انهزام الباطل وخذلانه؛ ليتبين الحق وأهله، ولتكون لهم الغلبة والنصرة أبدا.

وخامسها: أن اقتران الاسمين فيه بيان تمام عدل الله ورحمته كل فيما يخصه، وكل في أهله وفيمن يستحقه، وبيان أن الرحمة هي الغالبة دائما فقد انتهت الآية بالرحيم؛ حتى يبقى القلب متعلقا بها، ومؤملا في نيلها، وراغبا فيها، ولتفتح الباب واسعا أمام المعاندين للرجوع إلى الله وعدم التمادي في كفرهم وعنادهم لرسلهم.

٥: السميع العليم والسميع البصير

ورد الجمع بين الاسمين في ختام أمره سبحانه وتعالى بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وذلك في موضعين من القرآن الكريم، أولهما قوله تعالى: "وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[الأعراف: ٢٠٠] ،وفي قوله تعالى:"وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ "[فصلت: ٣٦].

وتفسيرها " : وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته، إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى

(١) شأن الدعاء، ٣٨.

في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه."(١)

وقبل الشروع في بيان بلاغة مناسبة اقتران الاسمين ننبه إلى أن هناك فارقا بين الآيتين فآية الأعراف بدون ضمير فصل، أما آية فصلت فبها ضمير فصل، وقد أشار إلى هذا الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير آية فصلت فقال: "وقوله: " وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ" أي: إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه، كفه عنك ورد كيده. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قام إلى الصلاة يقول: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه"، وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في "سورة الأعراف" عند قوله: " خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" (٢٠٠) [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠] ، وفي سورة المؤمنين عند قوله: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ(٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧)وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ(٩٨)"[المؤمنون: ٩٦-٩٨.

وأما اقتران الاسمين وختم الآيتين بهما في الاستعاذة من شيطان الجن ففيه

وجوه بلاغية؛ أولها: تمام مناسبة الاسمين لمدلول الآيتين الكريمتين فالسميع سبحانه "هو الذي يسمع السر والنجوى. سواء عنده الجهر، والخفوت، والنطق، والسكوت، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة. ومن هذا قول المصلي:"سمع الله لمن حمده" معناه قبل الله حمد من حمده." (٢)، والعليم

(١) الطبري، ٤٧٣/٢١.
(٢) شأن الدعاء، ص٥٩.

سبحانه هو العالم بكل شيئ، فعلمه سبحانه تام لا نقص فيه، علم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وعليه فالأمر هنا في قوله تعالى: "فاستعذ" صادر ممن هو سميع لهذه الاستعاذة والاستجارة من النبي صلى الله عليه وسلم ومن غيره، عليم بما يلقيه الشيطان من وساوس في نفوس خلقه أجمعين، وبهذا تتضح لنا مناسبة ختم الآية بهذين الاسمين لما جاء بها من معنى.

والوجه الثاني: أن كل اسم من الاسمين يدل على كمال اتصاف الرب تبارك وتعالى بصفتي السمع والعلم اللتين لا نقص فيهما، فسمعه وعلمه سبحانه يليقان به سبحانه.

والوجه الثالث: أن اجتماع الاسمين يشير إلى أن سمعه سبحانه مقرون بعلمه، وهذا فيه تمام قيوميته سبحانه على خلقه وعلمه بهم، فإنه سبحانه يسمع أقوالهم خفية كانت أم جهرية، وهو عليم بما هو كائن منهم، وبما في نياتهم وسرائرهم، وبما ألقاه الشيطان في قلوبهم من وساوس وخطرات، فاقتران السمع بالعلم دال على الكمال في حقه تعالى.

والوجه الرابع: أن اقتران الاسمين فيه من كمال الرب تبارك ما يشير إليه اجتماعهما في المعنى فالسمع هو إدراك المسموعات وقد يكون بمعنى قبول الدعاء وإجابته، ولا تتم إجابة الدعاء إلا إذا كان الله تعالى عليما بحال من يدعوه، فالله تعالى لا يقبل من الدعاء إلا ما كان خالصا لوجهه سبحانه، وهذا الإخلاص يستلزم أن يكون سبحانه عليما بحال من يدعوه، فإذا كان الداعي مخلصا استجاب له ربه وسمع له وقبل منه، وفي هذا دلالة على أن السمع والاستجابة للدعاء لا بد لهما من العلم، وبهذا يُعلم وجه بلاغة اقتران الاسمين الكريمين.

وورد كذلك اقتران الاسمين الكريمين في ختام دعاء إبراهيم وابنه عليهما السلام إذ يرفعان قواعد البيت الحرام، وذلك في قوله تعالى:"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[البقرة :

١٢٧] ، وكان اقترانهما مناسبا تمام المناسبة لدعائهما الذي هو" توسل إلى الله بهذين الاسمين إلى قبول هذا العمل الجليل حيث كان الله يعلم نياتهما ومقاصدهما ويسمع كلامهما، ويجيب دعاءهما"(١).

وما يزيد الأمر وضوحا هنا أن دعاءهما هنا دعاء ثناء ودعاء مسألة(٢)؛ فالثناء في قولهما " ربنا" والمسألة في قولهما " تقبل منا" وهذا هما نوعا الدعاء، وهما بحاجة إلى السميع سبحانه الذي يجيبهما، مع كونه عليما بحال الداعين من الإخلاص وما يتضمنه الدعاء من الخوف من عدم قبوله، والرجاء في قبول الله تعالى له.

ولعله من النافع هنا بيان أن الله تعالى قال في الاستعاذة من شيطان الإنس: "إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" [غافر:٥٦]، فختم سبحانه الآية باسمين كريمين، ولعل الفارق بينهما وبين "السميع العليم" أن شيطان الإنس وسوسته ظاهرة معلنة مرئية يراها الرب تبارك وتعالى ويراها الخلق فلهذا كان من الأنسب أن يقول " إنه هو السميع البصير"، وأما شيطان الجن فنزغه خفي، ووسوسته خفية تأتي في صورة خطرات تتعلق بالقلب فكان الأنسب لها أن يقول سبحانه " إنه هو السميع العليم"، أي عليم بما يصيب القلب من هذه الوساوس، وعليم بحال الداعي المستعيذ به سبحانه من الشيطان.

---

(١) القواعد الحسان، ص٥٥.

(٢) ينقسم الدعاء من حيث معناه إلى دعاء ثناء ودعاء مسألة" فالتوجه إلى المدعو بذاته هو المسمى بدعاء العبادة والثناء والذكر، والتوجه إلى المدعو لمسألته هو المسمى بدعاء المسألة والطلب". ينظر في هذا: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، أبو عبد الرحمن جيلان العروي، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٧ه، ١٩٩٦م، ص١١٤. وكذلك: من بلاغة بعض الأدعية في القرآن الكريم، د/ يحيى بن محمد إبراهيم عطيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج١٥، ع ٢٦، صفر ١٤٢٤ه.

٦: الغني الحميد

اقترن الاسمان الكريمان في كتاب الله تعالى أكثر من مرة، ومنها قوله تعالى:

"وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ" [لقمان: ١٢]، وقوله تعالى: "لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"[لقمان: ٢٦]

وقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" [فاطر:١٥].

والناظر في الآيات الكريمة يلحظ ختمها باقتران الاسمين الكريمين فما دلالة كل منهما؟ وما وجوه بلاغة اقترانهما؟

أما دلالتهما فإن الغني سبحانه " فهو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء. محتاجون كما وصف نفسه تعالى فقال عز من قائل: "وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ" [محمد: ٣٨]"(١) وأما الحميد سبحانه فهو" المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ؛ فهو محمود على كل حال."(٢)

وأما عن بلاغة اقتران الاسمين في الآيات السابقة فهي على أوجه، تشترك الآيات الثلاث في أولها وثانيها، أما ثالثها فيخص كل آية حسب سياقها، وبيان هذه الأوجه على النحو التالي:

---

(١) شأن الدعاء، ص٩٢، ٩٣.

(٢) شأن الدعاء، ص ٧٨.

الوجه الأول: دلالة الاسمين على كمال اتصاف الرب تبارك وتعالى بصفتي الغنى والحمد اللتين لا نقص فيهما، فغناه وحمده تامان يليقان به سبحانه.

الوجه الثاني: أن اجتماع الاسمين يشير إلى أن غناه سبحانه مقرون بحمده، وهذا فيه كمال زائد فوق كمال انفراد كل اسم بدلالته، فاستغناؤه سبحانه عن جميع خلقه، وعدم حاجته إلى نصرتهم أو تأييدهم، مع كونهم فقراء إليه سبحانه غنى ذاتي، وهذا الغنى مقرون باستحقاقه سبحانه الحمد من جميع خلقه على السراء والضراء؛ لأنه سبحانه حكيم في أفعاله وأقواله وما يجريه على خلقه من أحكام، فسبحانه محمود لذاته وصفاته، فإذا كان غناه سبحانه ذاتيا وحمده سبحانه ذاتيا فإن اجتماع السمين فيه كمال ثناء يزيد على كمال كل واحد منهما على انفراده.

الوجه الثالث: تمام مناسبة الاسمين لمدلول الآيات الثلاث السابقة كل على حدة، ففي قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ"، نرى تمام مناسبة الاسمين لمقتضى الحال الوارد في الآية الكريمة، فمن كفر بنعمة الله عليه فإنه سبحانه غني عنه وليس بحاجة إلى حمده، "فإن الله غني عن حمد الحامدين، حميد في ذاته من غير حمدهم، وإنما الحامد ترتفع مرتبته بكونه حامدا لله تعالى"(١).

وفي الآية الثانية وهي قوله تعالى:

"لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"

"معان لطيفة أحدها: أن الكل لله وهو غير محتاج إليه غير منتفع به وفيها منافع فهي لكم خلقها فهو غني لعدم حاجته حميد مشكور لدفعه حوائجكم بها

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦ه)، ١١٩/٢٥.

وثانيها: أن بعد ذكر الدلائل على أن الحمد كله لله ولا تصلح العبادة إلا لله افترق المكلفون فريقين مؤمن وكافر، والكافر لم يحمد الله والمؤمن حمده فقال إنه غني عن حمد الحامدين فلا يلحقه نقص بسبب كفر الكافرين، وحميد في نفسه فيتبين به إصابة المؤمنين وتكمل بحمده الحامدون وثالثها: هو أن السموات وما فيها والأرض وما فيها إذا كانت لله ومخلوقة له فالكل محتاجون فلا غني إلا الله فهو الغني المطلق وكل محتاج فهو حامد، لاحتياجه إلى من يدفع حاجته فلا يكون الحميد المطلق إلا الغني المطلق فهو الحميد، وعلى هذا [يكون] الحميد بمعنى المحمود"(١) ، وفي هذه الوجوه كفاية بيان عن جمال مناسبة اقتران الاسمين الكريمين بما ورد في الآية الكريمة وملائمة للمعاني المذكورة فيها.

ومما يشار إليه في هذه الآية أن الله تعالى قال: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فذكر ضمير الفصل " هو" ولعل النظم القرآني هنا ـ والله أعلم ـ جيئ فيه بهذا الضمير لزيادة بيان وتوكيد غنى الله تعالى وحمده؛ ذلك أن الآية الكريمة هنا تناولت كل ما خلقه الله تعالى في هذا الكون فقال سبحانه:" لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" فكان الكلام عاما شاملا جميع الخلق، بخلاف ما ورد في الآية السابقة من ذكر شكر الشاكرين وكفر الكافرين، فهذا خاص بمن قام بالشكر أو الكفر، أما الآية الثانية فعامة لجميع الخلق فقابلها زيادة توكيد على أن الله غني عما في السماوات الأرض محمود لذاته وصفاته، ليس بحاجة إلى حمد الحامدين، ولا شكر الشاكرين، ولا ينقصه كفر الكافرين.

وأما وجه بلاغة مناسبة اقتران الاسمين الكريمين بما ورد في الآية الثالثة وهي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فإنه " تعالى لما بيَّن أن الناس "فقراء إلى الله من جميع الوجوه: فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا. فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء

(١) السابق، ١٢٧/٢٥.

والجوارح، التي لولا إعداده إياهم بها ، لما استعدوا لأي عمل كان. فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل لهم من الرزق والنعم شيء"(١) بيَّن أنه" الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" الْغَنِيُّ عَنْ خَلْقِهِ الْمَحْمُودُ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ."(٢)، وهذا فيه تمام مناسبة للمعاني المذكورة في الآية الكريمة.

٧: الغفور الرحيم

وهذان الاسمان من أكثر الأسماء اقترانا في كتاب الله تعالى، وورودهما في آيات الرحمة فيه تمام المناسبة مع ما تدل عليه الآيات، فيُنظر إليهما بالطريقة التي سبق بها النظر إلى اقتران الأسماء السابقة، لكننا هنا سنشير إلى موضع هو من ألطف وأبلغ المواضع القرآنية ـ وكلها بليغة ـ، وأقصد هنا اقتران الاسمين الكريمين في الآيات التي بها أسباب الرحمة وأسباب العذاب ثم تُختتم " بالغفور الرحيم"، وذلك كما في قوله تعالى: "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[آل عمران: ١٢٩]، وقوله تعالى : "لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ

---

(١)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت١٣٧٦هـ٩، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠م، ص٦٨٧.

(٢) معالم النزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٠هـ)، حققه وخرج أحديثه، محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ٤١٧/٦.

اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" [الأحزاب: ٧٣] ، ففي الآيتين الكريمتين وردت أسباب الرحمة وأسباب العذاب، لكنهما خُتمتا

بالاسمين الكريمين تنبيها إلى سعة رحمة الله تعالى وعظمتها، وأنها غلبت وسبقت عذابه عزَّ وجلَّ، فيبقى باب قبول الرحمة مفتوحا أمام العاصين إلى النهاية، وهذا مما يقوي في النفس التعلق بالله تعالى والطمع في رحمته مهما تعاظمت الذنوب، وهذا من ألطف مواضع الرجاء في كتاب الله تعالى.

الخاتمة

جاءت الدراسة التي بين أيدينا؛ لتقدم توجيها بلاغيا لمناسبة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في فواصل الآيات القرآنية بسياق الآية التي وقع في هذا الاقتران، ولأجل هذا قُدِّمت الدراسة ببيان لمفهوم المناسبة في الاصطلاح القرآني والبلاغي مع بيان أهميتها وأقسامها، لا سيما أنها تُعدُّ علما من علوم القرآن الكريم، ثم أتبعناها ببيان لمفهوم الأسماء الحسنى التي هي محل الدراسة، ومن بعده بيان لمفهوم الفواصل القرآنية التي يكثر فيها اقتران الأسماء الحسنى ببعضها، ثم سعت الدراسة إلى محاولة تقديم توجيه بلاغي لمناسبة اقتران بعض الأسماء الحسنى في فواصل الآيات بآياتها، في نماذج مختارة من الآيات القرآنية الكريمة.

هذا، وقد انتهت الدراسة بعد هذه المحاولة ـ والله أعلم ـ إلى بعض النتائج التي نذكرها على النحو التالي:

أولًا: ثمة ارتباط وثيق بين علم المناسبات والنظم القرآني، فالمناسبة جزء من أجزاء النظم القرآني الذي هو وجه من وجوه الإعجاز، وذلك باعتبار النظر في تعريف كل منهما، فإذا كانت المناسبات في الاصطلاح القرآني هي "المعنى الذي يربط بين سوره وآياته"، والمناسبة في الاصطلاح البلاغي هي" الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر" فإن النظم هو الذي يبين وجه المناسبة في القرآن حسب نوعها.

ثانيًا: يمكن القول في تعريف الأسماء بأنها" الأسماء التي اختص الله سبحانه بها نفسه، وقد وصفت بالحسنى لأن الله تعالى وصفها بهذا الوصف؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالا ولا تقديرا".

ثالثًا: تُعرَّف الفاصلة القرآنية بأنها " الكلمة التي تقع آخر الآية؛ اسما كانت أم فعلا أم حرفا".

رابعًا: إذا ختمت الآية الكريمة باقتران اسمين من الأسماء الحسنى فهذا دليل على مناسبة اقترانهما ببعض للآية التي ذكرا فيهان وتعلقهما بالحكم الذي تشتمل عليه الآية، وهذا ما رأيناه في النماذج القرآنية التي هي محل هذه الدراسة، وعلى هذا جميع الآيات التي اقترنت فيها الأسماء الحسنى ببعضها.

خامسًا: يتوقف التوجيه البلاغي لمناسبة اقتران الأسماء الحسنى في فواصل الآيات بما جاء في الآية على دلالة الاسمين مع مراعاة سياق الآية بوجه خاص، وسياق الآيات السابقة واللاحقة بوجه عام.

سادسًا: ختم الآية الكريمة باسمين مقترنين فيه من تمام المناسبة والبلاغة ما يطابق حال المذكورين في الآية، وما يستلزمه هذا الحال، كل آية في موضعها وسياقها.

سابعًا: من وجوه بلاغة المناسبة في فواصل الآيات اقتران الاسمين؛ لأن فيه دلالة على كمال الرب تبارك وتعالى، وفيه تمجيد له سبحانه، وذلك باعتبار تضمن الاسم الأول كمال الصفة المشتقة منه، وكذلك تضمن الاسم الثاني كمال الصفة المشتقة منه.

ثامنًا: من وجوه بلاغة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها كذلك دلالة الاسمين المقترنين على كمال آخر، وهو أن الصفة المشتقة من الاسم الأول مقرونة بالصفة المشتقة من الاسم الثاني بما يناسب سياق الآية، كاقتران علمه سبحانه وتعالى بالحكمة، واقتران سمعه سبحانه بالبصر أو العلم، كما مضى في آيات الدراسة.

تاسعًا: العلم بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته والإيمان بها سبب من أسباب محبة العبد له سبحانه لا محالة.

المصادر والمراجع

١ـ القـرآن الكريم.
٢ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
٣ـ الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني (ت٧٣٩هـ)، تحقي محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت.
٤ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، ط١، دار المعرفة بيروت، لبنان ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م.
٥ـ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق د/ حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.
٦ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور(ت ١٣٩٣هـ)، د.ط، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٧ـ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٨ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
٩ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠م.
١٠ـ جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١١ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي(ت٦٧١هـ)،تحقيق احمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٢ـ الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية، أبو عبد الرحمن جيلان العروي، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٣ـ شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي(ت٣٨٨هـ)، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، ط٣،دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ، ١٤٩٢م.

١٤ـ علم المناسبات في السور والآيات، د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط١، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م.

١٥ـ فقه الأسماء الحسنى، د/عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، دار التوحيد للنشر، الرياض، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

١٦ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ت١٣٦٧هـ)، ط١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٠، ١٩٩٩م.

١٧ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، الشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين، حققه وخرج أحاديثه/ أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط٢، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٨ـ كتاب الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٩ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٠ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢١ـ مباحث في علوم القرآن، د/ مناع القطان، ط٣٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٨م.

٢٢ـ معالم النزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٠هـ)، حققه وخرج أحديثه، محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٢٣ـ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د/ أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٢٤- المعجم المفصل في علوم البلاغة، إنعام عكاوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٢٠هـ،

٢٦- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٧- من بلاغة بعض الأدعية في القرآن الكريم، د/ يحيى بن محمد إبراهيم عطيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، ج١٥، ع ٢٦، صفر ١٤٢٤هـ.

٢٨- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها دراسة تطبيقية لسورتي الأنفال والتوبة، رسالة ماجستير ،إعداد الطالب/ وائل علي فرج، إشراف د/ زهدي محمد أبو نعمة، كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية، غزة. ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٢٩- المنهج الأمثل في الأسماء والصفات دراسة وصفية تحليلية، د/ خالد حسن حمدان، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد ١٨، العدد ٢، يونيو ٢٠٢٠م.

٣٠- النكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، د.ط، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة

١	المقدمة	٢
٢	**أولًا: المناسبة مفهومها وأهميتها وأقسامها**	٣
٣	ثانيًا: مفهوم الأسماء الحسنى	٦
٤	ثالثًا: مفهوم الفاصلة القرآنية	٧
٥	**رابعًا: بلاغة اقتران الأسماء الحسنى ببعضها في خواتيم الآيات ومناسبتها لآياتها**	٨
٦	١: العليم الحكيم	٩
٧	٢: العزيز الحكيم	١١
٨	٣: العزيز العليم	١٤
٩	٤:العزيز الرحيم	١٥
١٠	٥: السميع العليم والسميع البصير	١٦
١١	٦:الغني الحميد	٢٠
١٢	٧:الغفور الرحيم	٢٤
١٣	الخاتمة	٢٥
١٤	المصادر والمراجع	٢٧